تدريب الشباب ذوي الاحتياجات الخاصة وآليات دمجهم مهنيا واجتماعيا: تجربة المركز النفسي البيداغوجي للمتخلفين ذهنيا بعين طاية-شرق الجزائر

حفظ الله رفيقة-أستاذ محاضر أ –جامعة البليدة-٢-

تمهيد:

تعد الإعاقة الذهنية واحدة من المشكلات النفسية التي تؤرق العاملين في حقل علم النفس و علوم التربية وذلك لما تطرحه من صعوبات على مستوى التشخيص و العلاج و الكفالة النفسية و التربوية والإدماج المهني و الاجتماعي.

يتطلب التكفل بالشخص المعاق ذهنيا ما يسمى بالكفالة المتعددة التخصصات و هذا راجع لكون هذا النوع من الاضطرابات يمس جوانب مختلفة من شخصية الفرد ألا و هي الجوانب العضوية، النفسية، العقلية و الاجتماعية.

تعريف الإعاقة الذهنية:

بدأ الاهتمام بالإعاقة الذهنية مع بداية القرن التاسع عشر، مع كل من إسكيرول و بينال (Esquirol, Pinel) تحت اسم البله و المشتق من اسم إغريقي يعني وحيد (Perron, 2004, p 57).

لقد ارتبطت سببية التخلف الذهني لمدة طويلة بالجوانب العضوية و على هذا الأساس لا يمكن للمتخلفين الشفاء منه أو تجاوزه، غير أن حركة البحث العلمي بينت وجود عوامل أخرى وراء ظهور التخلف الذهني و من بينها الأسباب الاجتماعية و النفسية.

تعرف الجمعية الأمريكية(٢٠٠٢) الاعاقة العقلية هي "اعاقة تتميز بالنقص الجوهري لكل من الوظائف العقلية و السلوك التكيفي كما تبدو في المهارات التكيفية المفاهيمية و الاجتماعية و العملية و الذي ينشأ قبل بلوغ الفرد ١٨ عاما" (البطانية و آخرون، ٢٠٠٧، ص ١٤٩)

الإطار القانوني لحماية المعاقين:

تذكر مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان أن " اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، التي اعتمدت في عام ٢٠٠٦، ودخلت حيز التنفيذ في ٢٠٠٨، أطلقت إشارة تحول نموذجي من النهج التقليدية الموجهة للأعمال الخيرية و القائمة على أساس طبي إلى نهج قائم على حقوق الإنسان" (www.ohchr.org)

يعتبر القانون رقم ٠٢-٠٩ المتعلق بحماية الأشخاص المعوقين وترقيتهم بادرة خير من أجل حماية كرامتهم من خلال إثبات صفة الإعاقة أو من خلال منح المساعدة الاجتماعية، و كذا حقهم في الادماج المؤسساتي من خلال الزامية انشاء مؤسسات و مراكز تضمن لهم حق التعليم

و التكوين المهني ليسمح لهم ذلك بتوفير منصب شغل يتناسب مع درجة إعاقتهم " (بركايل، بن مصطفى،2017، ص٢٧)
التكفل المؤسساتي العمل القاعدي و المتبعة الدائمة لبرامج ومنهجيات التدريس الإجباري و الاختياري في الفروع و الأقسام التي تنشأ للتكفل بهذه الفئة.

التكفل بالمتخلفين ذهنيا و سبل رعايتهم:

إن أعراض التخلف الذهني المتمثلة في كل من المشكلات المعرفية و الانفعالية و الصحية تفرض على المهتمين بالمعاقين عقليا رعاية متعددة التخصصات.
إذ يقدم التكفل الطبي الرعاية الصحية العامة، لأن أغلب المتخلفين ذهنيا يعانون من اضطرابات جسمية ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، المشكلات القلبية، الهرمونية، الاضطرابات العصبية كالصرع و غيرها.
أما التكفل النفسي فيتم من خلال العلاج النفسي للمتخلفين ذهنا من أجل مساعدة على الوصول إلى حالة من الاستقرار النفسي و كذا التكفل بعائلاتهم من أجل مساندتهم و توجيهم من الناحية العلائقية والتربوية.
تلعب الكفالة الاجتماعية دورا مهما في تحسين التوافق الاجتماعي للمتخلفين ذهنيا.
وعلى هذا الأساس يجمع علماء الاجتماع على تعريف رعاية المعوقين على أنها "مجموعة من الخدمات المتكاملة و المنظمة و الهادفة لتحقيق أقصى استثمار ممكن للقدرات و الإمكانات المتاحة التي يمكن استثارتها للإنسان غير العادي، حتى يكون أكثر قدرة وفعالية في التعامل مع نفسه و مع بيئته المحيطة به بالشكل الذي يحافظ و يدعم حقه في الحياة الطبيعية .

تدريب وإدماج المعاقين في مجال العمل:

إن التكفل المؤسساتي للمعاق يسمح للأطفال و المراهقين ما دون سن ١٨ سنة، من الحصول على تعليم خاص و ذلك تبعا لنوع الإعاقة وشدتها، أما بعد هذه السن فإن الغرض من الرعاية المؤسساتية العمل على مساعدة هؤلاء في الاندماج في ساحة العمل من خلال التدريب و التأهيل المهني.
و تسمح الإجراءات المقدمة في مراكز النفسية البيداغوجية للمعوقين من كسب المعارف المهنية و العملية لدخول سوق الشغل والإدماج في المجتمع الذي يمثل التحدي و التوجيه الجديد الذي يفرض على السلطات المعنية أخذ هذه الفئة بعين الاعتبار حتى يتسنى لهؤلاء ممارسة نشاط مهني مناسب
و مكيف يسمح لهم بضمان استقلالية بدينة واقتصادية. (نجاة سي هادف ، ٢٠١٤)
تشمل خدمات التأهيل المهني ما يلي:

- معرفة الخصائص الشخصية للمعاق و تقويم ما تبقى له من قدرات سواءا كانت بدنية أو عقلية، و التي تتم على أساس التشخيص الشامل لحالة الفرد المعاق.
- معرفة خصائص العمل الذي سيزاوله
- تقديم النصح و النصح و الإرشاد للمعاق بالتدريب على مهن في ضوء ما توفر من فرص العمل و ملائمتها لخصائصه العقلية وإمكانياته البدينة.
- المتابعة المستمرة لحالته حتى يتم التحقق من تشغيله (رشوان، ٢٠٠٩)

إذا ما أخذنا عين الإعتبار ما يحدث في العالم من تغير في كيفية التكفل بهذه الشريحة من المجتمع ، يمكن أن نقول أنه فيما يخص الجزائر و التي إستقلت في ١٩٦٢ تعتبر الخطوات التي تمت في هذا المجال بطيئة إلا أنها تستحق أن نتوقف عندها لنبرز جوانب القوة و جوانب الضعف فيها لعل ذلك يكون دافعا للمضي قدما لتدعيم الجهود لتكفل أحسن بفئة ذوي الاحتياجات الخاصة.

إن نموذج الكفالة المتعدد الأطراف (التخصص) موجود في الجزائر منذ الاستقلال، إلا أنه لم يكن بالهيكلة و التسيير الموجود حاليا.

يقدر عدد المعاقين ذهنيا ٢,٢٥ مليون ، أي ما يعادل ٧٥ بالمئة من مجموع المعاقين بالجزائر و لقد وفرت الدولة أكثر من ١٨٦ مؤسسة متخصصة.

إلا أنه و نظرا للظروف التي مرت بها الجزائر منذ الاستقلال فإن الحصيلة المرجوة في مجال التأهيل المهني و الإدماج الاجتماعي للمعوقين لم تبلغ الأهداف المرجوة بسبب نقائص كثيرة منها:

- سوء التوزيع الجغرافي لهذه المؤسسات ، حيث أن إنشاءها لم يخضع لأي دراسة سكانية مسبقة
- تمركز هذه المؤسسات في المدن الكبرى، و هذا ما يحرم أطفال المناطق النائية من الالتحاق بمؤسسات التكفل.
- افتقاد هذه المؤسسات، في أغلب الأحيان،إلى مشاريع مؤسساتية و برامج تكفلية واضحة و موحدة تسمح بتوحيد النظرة و تتفق حول الأهداف التربوية المتوخاة، وهو ما جعل كثيرا من هذه المؤسسات تبتعد عن أهدافها.

المركز البيداغوجي النفسي للأطفال المتخلفين ذهنيا - عين طاية- زرزورية:

أنشأ المركز البيداغوجي للمراهقين و الراشدين المتخلفين ذهنيا بعين طاية- ولاية الجزائر- بموجب المرسوم رقم ٨٩/٥٧ المؤرخ في ٠٢ ماي ١٩٨٩.

يقع هذا المركز غرب بلدية عين طاية و هو يحتوي على مساحات خضراء شاسعة و له وجهة بحرية و هذا ما يساعد الأشخاص المتكفل بهم على الشعور بالراحة.

يتكفل هذا المركز ب (١٠٤) متخلفا ذهنيا و يظم فئات التخلف العقلي المتوسط و الشديدو يتوزعون في
مجموعات متكونة من ٨ شباب، يتلقون برنامج ذو هدف تربوي، و تعلم يدوي، مع مساعدة نفسية
و إعادة تقويم نفسي-حركي وبيداغوجي.
إن الأهداف الأساسية للمساعدة النفسية داخل المؤسسة النفسية البيداغوجية يتمثل في:

- التقليل من عدم النضج الإنفعالي
- إكتساب تحكم إنفعالي أحسن
- مقاومة الإحباطات
- التقليل من القلق، الحصر و العدوانية
- تحسين التعبير و التواصل
- تحسين السلوك، العلاقات بين فردية و الرفع من تقدير الذات
- إكتساب الاستقلالية وكيفية الاعتماد على النفس
- محاولة إدماج هذه الفئة في المجتمع من خلال تعليمهم حرفة أو مهنة

إن الوصول إلى هذه الأهداف ليس بالأمر الهين لكون هذه المساعدة تتطلب الفهم العميق للتوظيف النفسي لهؤلاء الشباب، لأنه في الغالب يطرح إشكال هل يرغب الشاب أو لا يرغب في القيام بالنشاط
و ليس هل يستطيع أو لا يستطيع لأن ذلك مرتبط بشكل كبير بنوع العلاقة التي تربطه بالمرجع (نقصد هنا المربي، مسؤول الورشة)
لا يجب أن ننسى أن مشكلة التخلف الذهني تكون مرتبطة في الغالب بمشكلات على مستوى الشخصية و الذي يؤدي في الكثير من الأحيان إلى فشل التدخلات التربوية.

صعوبات العمل:

إن الصعوبات التي يتلقاها الأخصائي النفساني الذي يعمل مع هذه الفئة من الأفراد تتمثل في :

- تأخر في الوظائف العقلية
- اللغة التي لا تسمح بالتواصل
- التأخر على المستوى الحركي
- الصعوبات أو عدم القدرة على إستيعاب البرنامج الدراسي
- السلوك أو النموذج العلائقي الذي يطرح في الغالب مشكلات هامة

- الاستقلالية المحدودة.

عملية التدريب:

بعد وضع التشخيص والتحاق الشخص المعاق ذهنيا بالمركز، و تقييم قدراته ومهاراته و ميوله الشخصية، يتخذ المجلس النفسي البيداغوجي قرار التوجيه إلى إحدى الورشات.

يتكفل المركز ب ١٠٤ شخصا (١٨ إناث و ٩٦ ذكرا) موزعين على ١٣ ورشة، و كل ورشة مؤطرة من طرف مربي مختص) مساعد في ذلك من طرف مربي مساعد.

تتدرج الورشات من الأعمال اليدوية البسيطة التي لا تشكل خطرا على المعاق مثل: التزيين بالأزهار، التزيين بالألوان المائية، التزيين بالرمل، رسكلة الورق و ورشة الطين وصولا إلى ورشات أكثر تعقيدا ودقة وقد تشكل خطرا على المعاقين ذهنيا من الدرجة الشديدة و تتطلب درجة من الوعي و اليقظة ، ومن أهم هذه الورشات نذكر: ورشة الخياطة، ورشة النجارة، ورشة المكرمي وورشة البستنة.

يتمحور برنامج التكفل في ورشات الأعمال اليدوية حول :

-التربية المتخصصة
- الاستقلالية
-تطوير قدرات كل فرد
- الإدماج الاجتماعي

أما الورشات الأكثر تعقيدا فالهدف منها :

-تعليم تقنيات العمل بنظرة اجتماعية مهنية
- تطوير القدرات عن طريق الأعمال المقترحة
- التهيئة للحياة المستقبلية

تدعمت المؤسسة ببعض النشاطات الجديدة و التي أعطت دفعا جديدا لرعاية هذه الفئة و نذكر منها:

خلق مزرعة :

- تم زرع حوالي ١٠٠ شجرة مثمرة
- تربية الحيوانات : من خلال تربية الدواجن في ورشتين
- إدخال أنواع أخرى من نبتات التزيين داخل المؤسسة و التي من شأنها إثراء مشتلة المؤسسة.
- في ورشة تزيين الحديقة: تم تحضير قطعتين من الأرض من أجل زراعتها بمحاصيل تهدف إلى تموين مطبخ المركز.

سمحت ورشتا النجارة ، و من خلال البرنامج البيداغوجي المسطر، من المساهمة في صناعة و تجديد أثاث المركز وهو ما يسمح بخفض أعباء المؤسسة من هذا الجانب المتعلق بالتجهيز للسماح بالاهتمام بالجوانب البيداغوجية و تطوير خدمات التدريب و التأهيل المهنيين.

بعض النتائج المتوصل إليها:

من خلال برامج التدريب و الكفالة النفسية اجتماعية، تم إبرام إتفاقية مع وزارة التكوين و التعليم المهنيين وذلك من أجل تكوين و تدريب مهنيا ما يقارب ٨ شبان داخل المركز وذلك في تخصص البستنة و تزيين المساحات الخضراء (كل موسم دراسي منذ ما يقارب ١٠ سنوات).

تم خلال الموسم الدراسي (٢٠١٦-٢٠١٥) إدماج ٦ معاقين ذهنيا للعمل داخل المؤسسة ويتم دفع أجورهم من خلال مديرية النشاط الاجتماعي.

كما تم إدماج شاب داخل مؤسسة خاصة للعمل كمنظف للسيارات

تم إدماج شابة للعمل أيضا داخل المؤسسة كساعي بريد، يتم دفع أجرها من طرف مديرية النشاط الاجتماعي (وزارة التضامن الوطني و الأسرة).

من خلال ما يقدمه المركز من خدمات يتمكن عدد كبير من الشباب من الحصول على وظائف لدى الخواص و يواصل المختصون التكفل بهم من الناحية النفسية و الاجتماعية.

كما أن عددا منهم يتمكنون، بمساعد عائلاتهم، من الزواج وإنشاء أسر.

شهادات من الواقع:

وليد:

وليد من مواليد ٠١ ديسمبر ١٩٨٥ ، تم قبوله في المركز البيداغوجي النفسي في ٢٩ ماي ٢٠٠٤ ، بعد إجراء فحص نفسي تبين فيه أنه يعاني من تخلف ذهني.

تميز نموه الحسي الحركي بالتأخر في نمو اللغة و تعلم النظافة، لم يتمكن من التعلم في المدرسة العادية و تلقى كفالة على مستوى مركز بيداغوجي نفسي للأطفال المتخلفين ذهنيا حتى سن ١٨ سنة.

من سنة ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٦: إلتحق بورشة الأشغال اليدوية

من سنة ٢٠٠٦-٢٠١٤: إلتحق بورشة البستنة

لقد تمكن وليد من الإدماج في المجال المهني بسبب التطور التدريجي الذي عرفه على مستوى قدرات التكيف من خلال مختلف الورشات التي شارك فيها ، كما أن المساعدة النفسية كانت سببا في تحسين من إمكانياته على تخفيض الحصر الذي كان يعاني منه.

حسين:

تم قبول حسين في المركز في ٢٠٠٤/٠٥/٢٩ علما أنه من مواليد ١٩٨١، يعاني منـ تأخر عقلي بالإضافة إلى نوبات صرعية، كان يعاني من اضطرابات في السلوك و لكنه لم يتلقى أي مساعدة سيكاترية.

من الناحية اللغوية: كانت لغته مهيكلة و خطابه مفهوم و متناسق و يجعل التخاطب اللغوي سهل، كما أن نمط العلاقة سليم و هو ما يجعل إدراج النشاطات التربوية ممكنا بل و مشروطا.

تلقى من سنة ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٦ تكوينا في الأشغال اليدوية (المكرامي)، تلقى علاجا خاصا بنوبات الصرع في ٢٠٠٦.

من ٢٠٠٧ إلى ٢٠١٤ تلقى تكوينا في البستنة، و تميز مروره بهذه الورشة ب:

- سهولة في التأقلم مع جماعة الرفاق و مع البرنامج
- الاستقلالية: أصبح قادرا على التنقل بالوسائل الجماعية و لمسافات طويلة.
- يحتاج دائما إلى رقابة تربوية لتفادي تجاوز الحدود في النشاطات وفي العلاقات.
- تلقى علاجا نفسيا من أجل مساعدته على تجاوز المشكلات المتعلقة بالحدود.

بعدما تم التكفل بحسين من الناحية الطبية، النفسية و التربوية أصبح قادرا على تحمل أعباء مهنة

والتمتع بالاستقلالية المادية (أصبح يعمل كبستاني)

سفيان:

شاب يبلغ من العمر ٢٩ سنة و يعاني من التخلف الذهني الناتج عن تناذر داون، بعد أن تلقى كفالة على مستوى المركز البيداغوجي النفسي للأطفال المتخلفين ذهنيا، تم إدماجه في المركز و تدرب في الورشات التالية:

- ورشة الأعمال اليدوية لمدة ٤ سنوات
- ورشة النجارة لمدة ١٢ سنة

يعمل سفيان كمساعد للممون في المركز .

خاتمة:

يمكن القول أن عمليتي التدريب و الإدماج الاجتماعي المهني عملية شاقة ، تتطلب تحضير الشاب المعاق تحضيرا جيدا كي يكون قادرا على مجابهة أعباء العمل من جهة، أن يكون قادرا على تكوين علاقات داخل مقر العمل، أن يكون قادرا على تولي المسؤولية.

- للفرد المصاب بالتخلف الذهني الحق في الإدماج الاجتماعي، كما أنه فرد قائم بذاته يتمتع بنفس حقوق الشخص العادي و خاصة تلك المتعلقة بأخذ القرارات المتعلقة بمصيره
- الأهمية الكبرى التي تكتسيها عملية الكفالة المبكرة في تطوير كل إمكانيات الاستقلالية و التخفيف من اضطرابات السلوك و التي من شأنها أن تشكل عائقا كبيرا في عملية الإدماج.

أما من جهة المجتمع، و المؤسسات الاجتماعية و الاقتصادية فإنه من الضروري أن تكون هناك حملات توعية من أجل العمل على إدماج شباب آخرين، لأن الإدماج هو المنتهى و الخطوة المرجوة من كل نشاط بيداغوجي-نفسي و الذي يصبو إلى الاستقلالية النفسية والاقتصادية. إن العمل الجماعي سواء كان متعلقا بالخدمة الطبية-النفسية أو الاجتماعية- الاقتصادية ضروري جدا من أجل الوصول إلى جعل المعاق ذهنيا شخصا مستقلا اقتصاديا.

قائمة المراجع:

- البطانية أسامة و اخرون.(٢٠٠٧). علم النفس الطفل غير العادي، ط١. القاهرة: دار المسيرة.
- نجاة سي هادف ، دور التكوين المهني في تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة من وجهة نظر الإداريين و الأساتذة، دكتوراه، ٢٠١٤، بسكرة)
الموقع الالكتروني للمفوضية السامية لحقوق الإنسان -www.ohchr.org
- بركايل، بن مصطفى(٢٠١٧). حقوق ذوي الاحتاجات الخاصة في النظام القانوني الجزائري، مجلة جيل حقوق الإنسان، العدد، ٢٥ .jilrc-magazines.com
- رشوان عبد الحميد (٢٠٠٩).الإعاقة و المعوقون-دراسة في علم اجتماع الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث